الفصل الخامس

سرية عمرو بن أمية الضمري ﷺ

لقتل أبي سفيان على أثر مقتل خبيب ﷺ

ربيع الأول ٤ هـ / أغسطس (آب) ٦٢٥ م / مسرى ٣٤١ قبطي

المبحث الأول

عرض سرية عمرو بن أمية الضمري ﷺ لقتل أبي سفيان

أولاً: عرض السرية في كتب السنة والسيرة:

قال الإمام البيهقي في دلائل النبوة: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الله الحَافِظُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنُ بُطَّة الأَصْبَهَانِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بنُ الجَهْمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بنُ الفَرَجِ، قَالَ: حَدَّثَنَا الوَاقِدِي، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بنُ جَعْفَرَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الله بنُ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ جَعْفَرَ ابنِ عَمْرِو بنِ أَمَيَّةَ الضَّمَرِيِّ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الله بنُ جَعْفَرَ، عَنْ عَبْدِ الوَاحِدَ بنِ أَبِي عَوْنٍ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ قَالَ: كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بنُ حَرْبٍ قَدْ قَالَ لِنَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ: **مَا أَحَدٌ يَغْتَالُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّهُ يَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ، فَنُدْرِكُ ثَأْرَنَا**، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ مَنْزِلَهُ، وَقَالَ لَهُ: **إِنْ أَنْتَ قَوَّيْتَنِي [وَقَّيْتَنِي] خَرَجْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَغْتَالَهُ، فَإِنِّي هَادٍ بِالطَّرِيقِ خِرِّيتٌ**(١)، **وَمَعِي خَنْجَرٌ مِثْلُ خَافِيَةِ النَّسْرِ**، قَالَ: **أَنْتَ صَاحِبُنَا**، فَأَعْطَاهُ بَعِيرًا وَنَفَقَةً، وَقَالَ: **اطْوِ أَمْرَكَ، فَإِنِّي لا آمَنُ أَنْ يَسْمَعَ هَذَا أَحَدٌ فَيُنَمَّهُ إِلَى مُحَمَّدٍ**.

قَالَ العَرَبِيُّ: **لا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ**، فَخَرَجَ لَيْلًا عَلَى رَاحِلَتِهِ (**الراحلة**: البَعيرُ القوي على الأسفار والأحمال، ويَقَعُ على الذكر والأنثى) فَسَارَ خَمْسًا، وَصَبَّحَ ظَهْرَ الحَرَّةِ صُبْحَ سَادِسَهِ [الحَيَّ يَوْمَ سَادِسَهِ]، ثُمَّ أَقْبَلَ يَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى أَتَى المُصَلَّى، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، فَخَرَجَ يَقُودُ رَاحِلَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، فَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَؤُمُّ رَسُولَ الله ﷺ، فَوَجَدَهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُ فِي مَسْجِدِهِمْ، فَدَخَلَ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يُرِيدُ غَدْرًا، وَالله حَائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ**»، فَوَقَفَ فَقَالَ: **أَيُّكُمُ ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ**»، فَذَهَبَ يَنْحَنِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، كَأَنَّهُ يُسَارُّهُ، فَجَبَذَهُ (**الجبذ**: الشد والجذب بقوة) أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ ﷺ، وَقَالَ لَهُ: تَنَحَّ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وجَبَذَ [وَجَذَبَ] بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ (ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن)، فَإِذَا الخِنْجَرُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَذَا غَادِرٌ**»، وَسُقِطَ فِي يَدَيْ العَرَبِي [فَأُسْقِطَ فِي يَدَيْ الأَعْرَابِي] وَقَالَ:

---

(١) **الخِرِّيت**: الماهر الذي يهتدي لأخرات المَفاوز، وهي طرقها الخفية ومضايقها... وإنما سُمي خريتًا لشَقِّه المفاوز. لسان العرب لابن منظور ٢/ ١١٢٤ مادة خرت ط دار المعارف.

دَمِي دَمِي يَا مُحَمَّدُ، وَأَخَذَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ ﷺ يُلَبِّبُ [يُلَبِّبُهُ]، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اصْدُقْنِي: مَا أَنْتَ؟ وَمَا أَقْدَمَكَ؟ فَإِنْ صَدَقْتَنِي نَفَعَكَ الصِّدْقُ، وَإِنْ كَذَبْتَنِي فَقَدِ أُطْلِعْتُ عَلَى مَا هَمَمْتُ بِهِ**»، قَالَ العَرِبِي: **فَأَنَا آمِنٌ؟** قَالَ: «**فَأَنْتَ آمِنٌ**»، فَأَخْبَرَهُ بَخَبَرِ أَبِي سُفْيَانَ وَمَا جَعَلَ لَهُ، فَأَمَرَ بِهِ فَحُبِسَ عِنْدَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ ﷺ، ثُمَّ دَعَا بِهِ [صَارَا] مِنَ الغَدِ فَقَالَ: «**قَدْ أَمَّنْتُكَ، فَاذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ، أَوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ؟**»، قَالَ: **وَمَا هُوَ؟** قَالَ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ الله**»، قَالَ: **فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ الله، وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ، مَا كُنْتُ أَفْرَقُ الرِّجَالَ، فَمَا هُوَ إِلا أَنْ رَأَيْتُكَ فَذَهَبَ عَقْلِي، وَضَعُفَتْ نَفْسِي، ثُمَّ اطَّلَعْتَ عَلَى مَا هَمَمْتُ بِهِ مِمَّا سَبَقْتُ بِهِ الرُّكْبَانَ، وَلَمْ يَعْلَمْهُ [يَطَّلِعْ عَلَيْهِ] أَحَدٌ، فَعَرَفْتُ أَنَّكَ مَمْنُوعٌ، وَأَنَّكَ عَلَى حَقٍّ، وَأَنَّ حِزْبَ أَبِي سُفْيَانَ حِزْبُ الشَّيْطَانَ**، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَبَسَّمُ، وَأَقَامَ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ بِذِكْرٍ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ وَلِسَلَمَةَ بنِ أَسْلَمَ بنِ حَرِيشٍ ﷺ: «**اخْرُجَا حَتَّى تَأْتِيَا أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ، فَإِنْ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً فَاقْتُلاهُ**».

قَالَ عَمْرُو: فَخَرَجْتُ أَنَا وَصَاحِبِي حَتَّى أَتَيْنَا بَطْنَ يَأْجَجَ فَقَيَّدَنَا بَعِيرَنَا، فَقَالَ لِي صَاحِبِي: **يَا عَمْرُو، هَل لَكَ فِي أَنْ نَأْتِيَ مَكَّةَ وَنَطُوفَ بِالبَيْتِ سَبْعًا، وَنُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ؟** فَقُلتُ: **إِنِّي أَعْرَفُ بِمَكَّةَ مِنَ الفَرَسِ الأَبْلَقِ، وَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْنِي عَرَفُونِي، وَأَنَا أَعْرِفُ أَهْلَ مَكَّةَ، إِنَّهُمْ إِذَا أَمْسَوْا انْفَجَعُوا بِأَفْنِيَتِهِمْ** (الفناء: الساحة في الدار أو بجانبها) [**أَنَا أَعْلَمُ بِأَهْلِ مَكَّةَ مِنْكَ، إِنَّهُمْ إِذَا أَظْلَمُوا رَشُّوا أَفْنِيَتَهُمْ ثُمَّ جَلَسُوا بِهَا**]، فَأَبَى أَنْ يُطِيعَنِي، [فَانْطَلَقْنَا] فَأَتَيْنَا مَكَّةَ فَطُفْنَا سَبْعًا بِالبَيْتِ، وَصَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا خَرَجْتُ لَقِيَنِي مُعَاوِيَةُ ابنُ أَبِي سُفْيَانَ فَعَرَفَنِي، وَقَالَ: **عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ! وَاحُزْنَاهُ!** [فَنَذِرَ بِنَا أَهْلَ مَكَّةَ] فَأَخْبَرَ أَبَاهُ، فَنِيدَ بِنَا أَهْلُ مَكَّةَ فَقَالُوا: **مَا جَاءَ عَمْرُو فِي خَيْرٍ**، وَكَانَ عَمْرُو رَجُلًا فَاتِكًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَحَشَدَ أَهْلُ مَكَّةَ وَتَجَمَّعُوا، وَهَرَبَ عَمْرُو وَسَلَمَةُ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِهِمَا، وَاشْتَدُّوا فِي الجَبَلِ.

قَالَ عَمْرُو: فَدَخَلْتُ غَارًا [فِي غَارٍ] فَتَغَيَّبْتُ عَنْهُمْ، حَتَّى أَصْبَحْتُ، وَبَاتُوا يَطْلُبُونَنَا فِي الجَبَلِ، وَعَمَّى اللهُ عَلَيْهِمْ طَرِيقَ المَدِينَةِ أَنْ يَهْتَدُوا [لَهُ] لِرَاحِلَتِنَا، فَلَمَّا كَانَ الغَدُ ضَحْوَةً [ضَحْوَةُ الغَدِ] أَقْبَلَ عُثْمَانُ بنُ مَالِكٍ بنِ عُبَيْدِ الله التَّيْمِيُّ يَخْتَلِي لِفَرَسِهِ (يجمع لها الخلي، وهو الربيع، ويسمى خلي لأنه يُختلى، أي يُقطع) حَشِيشًا، فَقُلْتُ لِسَلَمَةَ بنِ أَسْلَمَ: إِنْ أَبْصَرَنَا أَشْعَرَ بِنَا أَهْلَ مَكَّةَ، وَقَدْ أَقْصَرُوا [انْفَضُّوا] عَنَّا، فَلَمْ يَزَلْ يَدْنُو مِنْ بَابِ الغَارِ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْنَا، وَخَرَجْتُ فَطَعَنْتُهُ طَعْنَةً تَحْتَ الثَّدْيِ بِخِنْجَرِي، فَسَقَطَ وَصَاحَ، وَأَسْمَعَ أَهْلَ مَكَّةَ، [فَاجْتَمَعَ أَهْلُ مَكَّةَ] فَأَقْبَلُوا بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، وَدَخَلْتُ الغَارَ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: لا تَحَرَّكْ [تَتَحَرَّكُ]، وَأَقْبَلُوا حَتَّى أَتَوْا عُثْمَانَ بنَ مَالِكٍ، فَقَالُوا: مَنْ قَتَلَكَ؟ قَالَ: عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: **قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ**

يَأْتِ بِعَمْرُو خَيْرٌ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِمَكَانِنَا، [فَإِنَّهُ] كَانَ بِآخِرِ رَمَقٍ (**الرمق**: بقية الروح وآخر النفس) وَمَاتَ، وَشُغِلُوا عَنْ طَلَبِنَا بِصَاحِبِهِمْ يَحْمِلُونَهُ، فَمَكَثْنَا لَيْلَتَيْنِ فِي مَكَانِنَا [حَتَّى سَكَنَ عَنَّا الطَّلَبُ] ثُمَّ خَرَجْنَا [إِلَى التَّنْعِيمِ]، فَقَالَ صَاحِبِي: **يَا عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ! هَل لَكَ فِي خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ نُنْزِلُهُ؟** فَقُلْتُ لَهُ: **أَيْنَ هُوَ؟** قَالَ: **هُوَ ذَاكَ مَصْلُوبٌ حَوْلَهُ الحَرَسُ**، فَقُلْتُ: **أَمْهِلنِي وَتَنَحَّ عَنِّي، فَإِنْ خَشِيتُ شَيْئًا فَانْجُ إِلَى بَعِيرِكَ فَاقْعُدْ عَلَيْهِ، وَأْتِ رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبِرْهُ الخَبَرَ، وَدَعْنِي فَإِنِّي عَالِمٌ بِالمَدِينَةِ**، ثُمَّ اشْتَدَدْتُ [اسْتَدَرْتُ] عَلَيْهِ حَتَّى حَلَلْتُهُ [وَجَدْتُهُ]، فَحَمَلْتُهُ عَلَى ظَهْرِي، فَمَا مَشَيْتُ بِهِ إِلا عِشْرِينَ ذِرَاعًا حَتَّى اسْتَيْقَظُوا، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِ أَثَرِي، فَطَرَحْتُ الخَشَبَةَ، فَمَا أَنْسَى وَقْعَهَا دَبْ [وَجِيبَهَا]، يَعْنِي صَوْتَهَا، ثُمَّ أَهْلْتُ عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ بِرِجْلِي، فَأَخَذْتُ بِهِمْ طَرِيقَ الصَّفْرَاءِ [1]، فَأَعْيَوْا فَرَجَعُوا، وَكُنْتُ لا أُدْرَكُ [أَدْرِي] مَعَ بَقَاءِ نَفَسٍ [نَفْسِي]، فَانْطَلَقَ صَاحِبِي إِلَى البَعِيرِ فَرَكِبَهُ، وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، وَأَقْبَلْتُ حَتَّى أَشْرَفْتُ عَلَى الغَلِيلِ، غَلِيلِ ضَجْنَانَ [2]، فَدَخَلْتُ فِي غَارٍ فِيهِ مَعِي قَوْسٌ [قَوْسِي] وَأَسْهُمٌ [أَسْهُمِي] وَخِنْجَرٌ [خِنْجَرِي]، فَبَيْنَا [فَبَيْنَمَا] أَنَا فِيهِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ مِنْ بَنِي الدَّئِلِ [مِنْ بَنِي الدِّيلِ بنِ بَكْرٍ]، أَعْوَرُ طَوِيلٌ، يَسُوقُ غَنَمًا وَمَعْزَىً، فَدَخَلَ عَلَيَّ الغَارَ، فَقَالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: مِنْ بَنِي بَكْرٍ، فَقَالَ: وَأَنَا مِنْ بَكْرٍ، ثُمَّ اتكأ فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ (صوته) يَتَغَنَّى يَقُولُ:

فَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَسْتُ أَدِينُ دِينَ الْمُسْلِمِينَا

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَقْتُلَكَ، فَلَمَّا نَامَ قُمْتُ إِلَيْهِ، فَقَتَلْتُهُ شَرَّ قِتْلَةٍ قَتَلْتُهَا أَحَدًا قَطُّ، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى هَبَطْتُ، فَلَمَّا أَسْهَلْتُ فِي الطَّرِيقِ إِذَا رَجُلانِ بَعَثَتْهُمَا قُرَيْشٌ يَتَجَسَّسَانِ الأَخْبَارَ، فَقُلْتُ: اسْتَأْسِرَا، فَأَبَى أَحَدُهُمَا، فَرَمَيْتُهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الآخَرُ اسْتَأْسَرَ، فَشَدَدْتُهُ وِثَاقًا (**الوثاق**: ما يُشد به كالحبل ونحوه)، ثُمَّ أَقْبَلْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْتُ المَدِينَةَ رَآنِي [أَتَى] صِبْيَانُ [الأَنْصَارِ] وَهُمْ يَلْعَبُونَ، وَسَمِعُوا أَشْيَاخَهُمْ يَقُولُونَ: هَذَا عَمْرٌو، فَاشْتَدَّ الصِّبْيَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، وَأَتَيْتُهُ بِالرَّجُلِ قَدْ رَبَطْتُ إِبْهَامَيْهِ بِوَتَرِ قَوْسِي، فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ، ثُمَّ دَعَا لِي بِخَيْرٍ.

---

(١) **الصفراء**: وادي الصفراء: من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة، وبينه وبين بدر مرحلة. معجم البلدان ٣/ ٤١٢.

(٢) **الغليل**: منابت الطلح. **وضجنان**: اسم جبل بناحية تهامة، قال الواقدي: بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلًا... ولضجنان حديث في حديث الإسراء، حيث قالت له قريش: ما آية صدقك؟ قال: لما أقبلت راجعًا حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير فلان، فوجدت القوم ولهم إناء فيه ماء فشربت ما فيه... وذكر القصة. معجم البلدان ٣/ ٤٥٣، وتعرف اليوم بحرة المحسنية. معجم المعالم الجغرافية ص ١٨٣.

وَكَانَ قُدُومُ سَلَمَةَ قَبْلَ قُدُومِ عَمْرٍو بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ». [دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٣٣-٣٣٧، ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٥١٧-٥٢٣ باختلاف يسير أثبته بين معكوفتين، وسيأتي بقية تخريجه من رواية ابن إسحاق].

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ: «وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنْ عَمْرًا ﷺ لـمَّا أَهْبَطَ خُبَيْبًا ﷺ لَمْ يَرَ لَهُ رِمَّةً وَلا جَسَدًا، فَلَعَلَّهُ دُفِنَ مَكَانَ سُقُوطِهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَهَذِهِ السَّرِيَّةُ إِنَّمَا اسْتَدْرَكَهَا ابنُ هِشَامٍ عَلَى ابنِ إِسْحَاقٍ وَسَاقَهَا بِنَحْوٍ مِنْ سِيَاقِ الوَاقِدِيِّ لهَا، لَكِنْ عِنْدَهُ أَنَّ رَفِيقَ عَمْرِو بنِ أُمَيَّةَ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ جَبَّارُ بنُ صَخْرٍ. فَاللهُ أَعْلَمُ، وَلله الحَمْدُ».

[البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٥٢٣].

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَمِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ بُعُوثِ رَسُولِ الله ﷺ وَسَرَايَاهُ [(١)]: بَعْثَ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ فِيمَا حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ العِلمِ بَعْدَ مَقْتَلِ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ وَأَصْحَابِهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ جَبَّارَ بْنَ صَخْرٍ الأَنْصَارِيَّ ﷺ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا مَكَّةَ، وَحَبَسَا جَمَلَيْهِمَا بِشِعْبِ (الطريق الخفي بين جبلين) مِنْ شِعَابِ يَأْجَجَ [(٢)]، ثُمّ دَخَلَا مَكَّةَ

---

(١) قال السهيلي: وَذَكَرَ الشَّيْخُ الحَافِظُ أَبُو بَحْرٍ سُفْيَانُ بنُ العَاصِي ﷺ فِي هَذَا المَوْضِعِ، قَالَ: نَقَلتُ مِنْ حَاشِيَةِ نُسْخَةٍ مِنْ كِتَابِ السِّيَرِ مَنْسُوبَةً بِسَمَاعِ أَبِي سَعِيدٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَأَخَوَيْهِ مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدَ ابْنَيْ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ مَا هَذَا نَصُّهُ: وَجَدْتُ بِخَطِّ أَخِي قَوْلَ ابْنِ هِشَامٍ: هَذَا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، هُوَ غَلَطٌ مِنْهُ، قَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ فِيمَا حَدَّثَ أَسَدٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَالقَائِلُ فِي الحَاشِيَةِ (وَجَدْتُ بِخَطِّ أَخِي) هُوَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ. [الروض الأنف للسهيلي ٧/ ٥٣١-٥٣٢ تح الوكيل].

قلت: وأخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٥٤٢-٥٤٥ من طريق محمد بن إسحاق، عن جعفر بن الفضل بن الحس بن عمرو بن أمية الضمري، عن أبيه عن جده ـ يعني عمرو بن أمية ـ بنحوه، وذَكَرَ قدومه المدينةَ من طريق محمد بن إسحاق، عن سليمان بن وردان، عن أبيه، عن عمرو بن أمية.

وكذلك ذكره ابن حجر في المطالب العالية ١٧/ ٤١٧-٤٢٣ رقم ٤٢٨٥ عن إسحاق بن راهويه، عن يحيى بن آدم، عن ابن أبي زائدة، عن ابن إسحاق، وكذلك عن إسحاق بن راهويه، عن وهب بن جرير، عن أبيه، عن ابن إسحاق. وخرَّج المحقق رواياته، ثم حكم عليه بقوله: «الحديث بهذا الإسناد فيه راويان مبهمان، وعليه فالحديث بهذا الإسناد ضعيف، وبقية المتابعات ضعيفة أيضًا».

وأيضًا جمع د/ بريك طرق رواياته، ثم قال: «لكن مدار رواياتهم على إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، قال عنه الهيثمي، وابن حجر: (ضعيف)، ينظر: الهيثمي، مجمع ٥/ ٣٢١، وابن حجر، تقريب ٨٨، إذًا: فالخبر لا تخلو طرقه من الضعف، ولكنها تتعاضد فيما بينها لتكسبه نوعًا من القوة مما يجعلنا نستأنس لقبوله تاريخيًّا. والله تعالى أعلم». السرايا والبعوث لبريك ١٦٨-١٦٩.

(٢) يَأْجَجَ: واد من أودية مكة، شمال عمرة التنعيم، ووادي التنعيم يصب في يأجج، يقطعه الطريق إلى المدينة المنورة على عشرة أكيال من المسجد الحرام، يعرف اليوم باسم (ياج). ينظر: معجم البلدان ٥/ ٤٢٤، معجم المعالم الجغرافية ص ٣٣٧.

لَيْلًا، فَقَالَ جَبَّارٌ لِعَمْرٍو: لَوْ أَنَّا طُفْنَا بِالبَيْتِ وَصَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ؟ فَقَالَ عَمْرٌو: إنَّ القَوْمَ إذَا تَعَشَّوْا جَلَسُوا بِأَفْنِيَتِهِمْ، فَقَالَ: كَلّا، إنْ شَاءَ اللهُ، فَقَالَ عَمْرٌو: فَطُفْنَا بِالبَيْتِ وَصَلَّيْنَا، ثُمَّ خَرَجْنَا نُرِيدُ أَبَا سُفْيَانَ، فَوَاللهِ إنَّا لَنَمْشِي بِمَكَّةَ إذْ نَظَرَ إلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَعَرَفَنِي، فَقَالَ: **عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، وَاللهِ إنْ قَدِمَهَا إلَّا لِشَرٍّ**، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: النَّجَاءَ، فَخَرَجْنَا نَشْتَدُّ، حَتَّى أَصْعَدْنَا فِي جَبَلٍ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِنَا، حَتَّى إذَا عَلَوْنَا الجَبَلَ يَئِسُوا مِنَّا، فَرَجَعْنَا، فَدَخَلنَا كَهْفًا فِي الجَبَلِ، فَبِتْنَا فِيهِ، وَقَدْ أَخَذْنَا حِجَارَةً فَرَضَمْنَاهَا دُونَنَا (جعلنا بعض الحجارة فوق بعض؛ لتكون حاجزًا بيننا وبين من يطلبنا)، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُودُ فَرَسًا لَهُ وَيُخْلِي عَلَيْهَا (يجمع لها الخلي، وهو الربيع، ويسمى خلي لأنه يُختلى، أي يُقطع)، فَغَشِينَا وَنَحْنُ فِي الغَارِ، فَقُلْتُ: إنْ رَآنَا صَاحَ بِنَا، فَأُخِذْنَا فَقُتِلْنَا.

قَالَ: وَمَعِي خَنْجَرٌ قَدْ أَعْدَدْتُهُ لِأَبِي سُفْيَانَ، فَأَخْرُجُ إلَيْهِ فَأَضْرِبُهُ عَلَى ثَدْيِهِ ضَرْبَةً، وَصَاحَ صَيْحَةً أَسْمَعَ أَهْلَ مَكَّةَ، وَأَرْجَعُ فَأَدْخُلُ مَكَانِي، وَجَاءَهُ النَّاسُ يَشْتَدُّونَ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ، فَقَالُوا: مَنْ ضَرَبَكَ؟ فَقَالَ: عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، وَغَلَبَهُ المَوْتُ، فَمَاتَ مَكَانَهُ، وَلَمْ يُدَلَّ عَلَى مَكَانِنَا، فَاحْتَمَلُوهُ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي، لَمَّا أَمْسَيْنَا: النَّجَاءَ، فَخَرَجْنَا لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ المَدِينَةَ، فَمَرَرْنَا بِالحَرَسِ وَهُمْ يَحْرُسُونَ جِيفَةَ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ ﷺ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: **وَاللهِ مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ أَشْبَهَ بِمِشْيَةِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ، لَوْلَا أَنَّهُ بِالمَدِينَةِ لَقُلْتُ هُوَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ**.

قَالَ: فَلَمَّا حَاذَى الخَشَبَةَ شَدَّ عَلَيْهَا، فَأَخَذَهَا فَاحْتَمَلَهَا، وَخَرَجَا شَدًّا، وَخَرَجُوا وَرَاءَهُ حَتَّى أَتَى جُرُفًا بِمَهْبِطِ مَسِيلٍ يَأْجَجَ، فَرَمَى بِالخَشَبَةِ فِي الجُرْفِ، فَغَيَّبَهُ اللهُ عَنْهُمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ.

قَالَ: وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: النَّجَاءَ النَّجَاءَ حَتَّى تَأْتِيَ بَعِيرَك، فَتَقْعُدَ عَلَيْهِ، فَإِنِّي سَأَشْغَلُ عَنْكَ القَوْمَ، وَكَانَ الأَنْصَارِيُّ لَا رَجِلَةَ لَهُ (ليس له قوة بالمشي على رجليه، يُقال: فلان ذو رجلة، إذا كان يقوى على المشي).

قَالَ: وَمَضَيْتُ حَتَّى أَخْرُجَ عَلَى ضَجْنَانَ، ثُمّ أَوَيْتُ إلَى جَبَلٍ فَأَدْخُلُ كَهْفًا، فَبَيْنَا أَنَا فِيهِ إذْ دَخَلَ عَلَيَّ شَيْخٌ مِنْ بَنِي الدِّيلِ أَعْوَرُ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ، فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: مِنْ بَنِي بَكْرٍ، فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ بَنِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ: مَرْحَبًا، فَاضْطَجَعَ، ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ فَقَالَ:

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا ... وَلَا دَانٍ لِدِينِ المُسْلِمِينَا

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: سَتَعْلَمُ، فَأَمْهَلْتُهُ، حَتَّى إذَا نَامَ أَخَذْتُ قَوْسِي، فَجَعَلْتُ سِيَتَهَا (طرفها) فِي عَيْنِهِ الصَّحِيحَةِ، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغَتْ العَظْمَ، ثُمَّ خَرَجْتُ النَّجَاءَ، حَتَّى جِئْتُ العَرْجَ (اسم منزل بطريق مكة، أو واد بالحجاز)، ثُمَّ سَلَكْتُ رَكُوبَةً (ثنية بين مكة والمدينة)، حَتَّى إذَا هَبَطْتُ النَّقِيعَ (موضع ببلاد مزينة على ليلتين من المدينة) إذَا رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ المُشْرِكِينَ كَانَتْ قُرَيْشٌ بَعَثَتْهُمَا عَيْنًا إلَى المَدِينَةِ يَنْظُرَانِ وَيَتَحَسَّسَانِ، فَقُلْتُ: اسْتَأْسِرَا، فَأَبَيَا، فَأَرْمِي أَحَدَهُمَا بِسَهْمٍ فَأَقْتُلُهُ، وَاسْتَأْسَرَ الآخَرُ، فَأُوثِقُهُ رِبَاطًا، وَقَدِمْتُ بِهِ المَدِينَةَ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٣٣-٦٣٥].

ثانيًا: العرض الأدبي للسرية [١]:

بين بني هاشم وبني عبد شمس:

كانت لقريش مكانة مرموقة بين قبائل العرب.

وكان لبني عبد مناف مكانتهم الرفيعة في قبائل قريش.

وكان لبني هاشم المكانة السامية في بني عبد مناف.

هذه هي المعادلة القبلية التي كانت سائدة عندما أرسل الله رسوله بالدين الحنيف؛ لذا فقد وقف أبو سفيان بن حرب من الدين الجديد في بداية أمره موقفين متباينين:

كان يشعر بالاعتزاز بهذا الحدث الذي أكد منزلة بني عبد مناف بين قبائل قريش، وكان في الوقت نفسه يشعر بالحسد والغيرة لأن هذا الشرف العظيم الذي حازه بنو عبد مناف كان من نصيب أبناء عمه من بني هاشم ولم يكن من نصيب ذويه من بني عبد شمس.

يبين هذا الشعور ما دار بين أبي سفيان وأبي جهل بن هشام من حديث عندما مر بهما رسول الله ﷺ ـ وهما جالسان في فناء الكعبة ـ فقد قال أبو جهل مشيرًا إلى رسول الله: هذا نبيكم يا بني عبد مناف!

قال أبو سفيان وقد امتلأ أوداجه حمية وفخرًا: وتعجب أن يكون منا نبي؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل!

واستطاع أبو جهل أن يتجاوز هذه الغضبة من أبي سفيان وأن يعمل على كبتها ودفنها عندما استدرك قائلًا: ولكن الرسول ليس من بني عبد شمس يا أبا سفيان!

وتنفس أبو سفيان بحرقة، وقال والأسى يملأ نفسه: نعم يا أبا الحكم، لقد كنتُ أرجو أن يكون من بني عبد شمس.

قال أبو جهل بلؤم وخبث: لا أظنك يا أبا سفيان، وأنت سيد في قريش، ترضى أن تتبع رجلًا يتيمًا من بني هاشم، ماذا يقول القرشيون عنك إذا رأوك تسير في إثر محمد وتتبع خطوه؟

قال أبو سفيان: إن محمدًا فينا لكريم الخلق، وسيط النسب، ما جربنا عليه كذبًا قط.

قال أبو جهل، وهو يواصل شد أبي سفيان عن طريق محمد: وهل ترضى لنفسك أن تكون تابعًا يا أبا سفيان؟ إنك لم تزل فينا سيدًا مطاعًا، ولم تزل بنو عبد شمس في قريش صاحبة القيادة والحرب، فهل تعمل بنفسك على نزع هذه المكرمة من أسرتك لتضيفها إلى مكارم بني هاشم؟ إنك لأنت العاقل فينا، ولا أظنك تنقاد لفتى من بني هاشم.

---

(١) والله يعصمك من الناس للجدع ١٠٠-١١٨، وصور من جهاد الصحابة ﷺ للخالدي ١٣٩-١٥٤.

قال أبو سفيان، وقد وقع في شباك أبي جهل: إن النبوة شرف ما بعده شرف، ولا أرضى أن يجوز هذا الشرف بنو هاشم دوننا.

قال أبو جهل: صدقت يا أبا سفيان، لن ترضى بنو عبد شمس أن تكون النبوة في بني هاشم، ولن يرضى قومي من بني مخزوم ذلك، لقد ذهب بنو هاشم بجل مكارم قريش فرضينا، أما هذه فلا نرض بها أبدًا.

قال أبو سفيان: نعم، لن نرضى بهذا أبدًا.

وأسرع أبو جهل فاستغل غضبة أبي سفيان وقال: وما موقفك إذن من الدين الجديد؟

فيرد أبو سفيان بحزم: المعارضة والعداء والصد والمقاومة ما حييت.

قال أبو جهل، وهو يحاول أن يخفي ما انتابه من فرح شديد وسعادة غامرة: هذا هو العقل الراجح يا أبا سفيان، هذا ما كنتُ أرجو أن أسمعه من سيد بني عبد شمس، نعم لن يلقي محمد منا إلا ما يكره، ولن يجد بنو هاشم منا إلا ما يسوؤهم.

قيادة أبي سفيان لقريش:

كان أبو سفيان سيد بني عبد شمس، وكان لبني عبد شمس في قريش القيادة الحربية، فكان موقع أبي سفيان في المجتمع القرشي موقعًا هامًّا، فكان محط أنظار سادة قريش وشبابهم.

ولكن هذه القيادة الحربية ما كانت لتشغل أبا سفيان عن شيء آخر له في حياته وحياة قريش أهمية كبرى، ذلك الشيء الهام هو التجارة، واكتساب المال، وما يتبع ذلك من تنقل في شتى البلدان، وتعرُّف على مختلف المجتمعات خارج جزيرة العرب.

فأبو سفيان تاجر يحرص على تجارته الحرص كله، فهي مصدر هذا الثراء العريض الذي يرفل فيه، وهي بالإضافة إلى نسبه العريق، سبب لما يتمتع به من احترام المجتمع القرشي وتقدير القبائل المحيطة بمكة والمتعاملة معها.

وأبو سفيان لا يترك ماله للآخرين يتاجرون له به، ويقدمون له أرباحه وهو جالس في مكة لا يغادرها، كما يفعل كثير من سادة قريش ومن أثريائها، بل يباشر تجارته بنفسه، ويشرف أيضًا على تجارة قريش في كثير من حملاتها التجارية التي اشتهرت بها حتى ذكرها الله في القرآن الكريم وامتن بها على قريش، فقال جل من قائل: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾ [قريش].

وأبو سفيان بعد هذا وذاك رجل محب لقريش، حريص على وحدتها وألفتها، يتبدى ذلك كثيرًا في تصرفاته في الأحداث التي كانت تحدث في مكة بين قبائل قريش نفسها، وبينها وبين قبائل أخرى، ففي كل هذه الأحداث كان موقف أبي سفيان موقف المحب لقريش، الحريص على سلامتها، والمضحي بكل شيء في سبيل ألفتها ووحدتها.

لهذه الأسباب كلها لم يُظهر أبو سفيان عداوة شديدة لمحمد ﷺ، أو مقاومة ظاهرة للدعوة الإسلامية الناشئة في مكة، ولولا ما كان يمارسه عليه زعماء مكة من ضغوط لما شارك حتى في هذه الوفود التي كانت تفد علي أبي طالب تطالبه بأن يكف محمدًا ﷺ عن عيب آلهتهم وآبائهم وعاداتهم.

ولم نسمع عن أبي سفيان أنه وقف مواقف كالتي وقفها أبو جهل وأضرابه من سادة قريش في إيذاء الرسول ﷺ والذين آمنوا معه، حتى وقعت معركة بدر وأُصيب فيها من سادة قريش وفيهم ابنه حنظلة ووالد زوجه هند: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

لقد بقي أبو سفيان يتخذ جانب الملاينة حتى قبيل معركة بدر، فقد أرسل إلى أشراف قريش من الذين يتولون قيادة الجيش الخارج لحماية قافلته التجارية أن يرجعوا عن قتال المسلمين متخذًا من نجاة القافلة ذريعة لصدهم عن الحرب، وكفهم عن القتال، يدفعه إلى هذا الموقف حدبه على قريش وحبه لها وخوفه أن يلتقي الطرفان فيقتل بعضهم بعضًا، وفي جيش المسلمين كثير من أبناء قريش الذين أسلموا.

إذن فقد غيرت نتائج المعركة في بدر من موقف أبي سفيان، وأشعلت في قلبه نار الحقد والبغضاء بعد أن رأى ما آلت إليه مكة التي لم تدع الحرب بيتًا فيها إلا وفيه من بدر مصائب أحزان.

لقد وجد أبو سفيان نفسه بعد بدر سيد قريش بلا منازع، وألقت إليه قريش مقاليد السياسة والحرب، وأوكلت إليه مهمة الأخذ بثأر من أُصيب في بدر.

أسرع أبو سفيان فحزم أمره على الانتقام، فأعد لهذه الأمر عدته من المال والرجال والسلاح، وما إن حال الحول ودار العام حتى كان أبو سفيان يتجه بجيش قريش من مكة إلى المدينة، فالتقى الطرفان في أُحُد، ونال أبو سفيان وجيشه من المسلمين فقتلوا أعدادًا تقارب ما قُتل منهم يوم بدر.

الموقف بعد غزوة أُحُد:

في الفترة الواقعة بين غزوة أُحد وغزوة الأحزاب، تصاعدت المواجهة بين المسلمين وبين قريش، ووقعت حوادث كثيرة من حوادث المواجهة بين المسلمين والمشركين، و(شكَّل) فيها رسول الله ﷺ كثيرًا من السرايا والمجموعات الجهادية؛ لتقوم بعمليات جهادية جريئة ضد الكفار!

في مطلع السنة الرابعة تمكن الصحابي عبد الله بن أنيس ﷺ من قتل الزعيم الكافر خالد بن سفيان الهذلي، بالقرب من مكة؛ لأنه كان يعد جيشًا كبيرًا لغزو المدينة، وبذلك تفرق جيشه! وكان الهذلي حليفًا لزعيم مكة أبي سفيان، وبذلك خسر أبو سفيان حليفًا قويًّا له.

إن أبا سفيان زعيم مكة يخسر أمام رسول الله ﷺ الموقع تلو الآخر، والجولة تلو الأخرى! لأن الله مع رسوله ﷺ، بالتوفيق والنصر والتأييد!

أبو سفيان يرسل رجلاً لاغتيال الرسول ﷺ:

وعلى الرغم مما بدا للناس من أن أبا سفيان قد أدرك ثأره في أُحُد إلا أن أبا سفيان نفسه لم يرض عن هذه النتيجة كل الرضا، فقد قُتل في أُحُد من المشركين عدد كبير، ولم يُهزم المسلمون كما أراد هزيمة تامة، ولم يزل رسول الله ﷺ ورؤوس أصحابه على قيد الحياة يواصلون الطريق للقضاء على زعامة قريش الوثنية، ويعملون لذلك آناء الليل وأطراف النهار.

لهذا وقف أبو سفيان في أُحُد يوعد المسلمين بلقاء آخر من العام المقبل، وأعلن ذلك على الملأ حتى يسمعه جميع الناس.

هذا ما أعلنه أبو سفيان، أما ما أسره في نفسه، ولم يُطلع عليه أحدًا من الناس، فهو قراره بقتل محمد ﷺ غيلة؛ ذلك لأنه رأى أن المسلمين لا ينتهي أمرهم، إلا بموت محمد ﷺ قبل أن يستفحل أمره، وتمتد دعوته، وينتشر دينه.

هذا ما شغل أبا سفيان وهو عائد من معركة أُحُد، وهذا ما عمل له منذ اللحظة الأولى التي وصل فيها إلى مكة، فقد أخذ يبحث عن رجل جلد صلب يقوم بهذه المهمة، ويكفي بذلك قريشًا شر القتال الذي لا تنقضي معركة من معاركه إلا وتنتقص من قريش رجالًا ومالًا، وتعمل على ضعضعة مركز قريش ومكانتها بين قبائل العرب.

لم يعد أبو سفيان قادرًا على أن يطرد من تفكيره فكرة اغتيال الرسول ﷺ، فهي تلح عليه في يقظته وفي منامه، وتتابعه في ذهابه إلى مجالس قريش وفي إيابه منها، لقد أصبحت هذه الفكرة شغله الشاغل وهمه الأكبر؛ لأنها في ظنه واعتقاده المخرج الوحيد من هذه الحروب التي أكلت شباب قريش وأفنت شيوخها؛ لذا فقد قرر أن ينفذ فكرته ويريح أعصابه، فوقف في مجلس من مجالس قريش في فناء الكعبة وقال: يا معشر قريش، يا حلفاء قريش ومواليها، أيها الناس، لقد شَغَلَنا محمد عن كل شيء حتى عن أنفسنا وأهلينا، فهل لهذا الأمر من مخرج تقترحونه وتتعاهدون على تنفيذه؟

قال الحاضرون بلسان واحد: ليس لها يا أبا سفيان إلا الحرب، لقد أصبنا منهم يوم أُحُد وكدنا أن نفنيهم ونقتل محمدًا، وإنا لنرى أن معركة أخرى كمعركة أُحُد كفيلة بأن تنهي أمر محمد وتقضي على أصحابه.

قال أبو سفيان: وأنَّى لكم أيها الناس معركة كمعركة أُحُد؟ لقد كانت معركة أُحُد فلتة، وما أظن أنكم ستصيبون مثلها من محمد وأصحابه، وما أظنهم إلا وقد حنقوا عليكم وتعاهدوا على الانتقام منكم، وإني أرى أن نجرب طريقًا آخر غير الحرب، وأن نجعل الحرب آخر ما نلجأ إليه.

قال سيد من السادات: لا مهادنة مع الذين قتلوا آباءنا وأبناءنا!

قال أبو سفيان: ليس طريق المهادنة أردت، إنما أردت طريقًا يجنبنا الحرب وينصرنا على المسلمين.

قالوا: أنت يا أبا سفيان سيدنا وقائدنا، وقد قلدناك أمورنا، وأسلمنا لك قيادنا فانظر ماذا ترى، وستجدنا لك طائعين ولأمرك منفذين.

قال أبو سفيان: أرى أن نرسل إلى محمد من يقتله غيلة، فإن محمدًا يمشي في الأسواق، فإذا قتلناه انكسرت قلوب أصحابه وأصابهم الوهن ودخلتهم الهزيمة وذهبت ريحهم.

قالوا له: سنعمل على تحقيق ذلك، ونبحث عن رجل ماهر ذكي خبير بذلك.

بحثوا عن رجل خبير بالاغتيالات، وأتوا به إلى أبي سفيان!

دخل الرجل على أبي سفيان في منزله، وحرص على أن لا يراه أحد، واجتمع به اجتماعًا سريًّا مغلقًا، وتحدثا في اغتيال رسول الله ﷺ.

قال الرجل لأبي سفيان: أنا مستعد لاغتيال محمد، وأقدر على ذلك، وعلى معرفة تامة بالطريق والكيفية وحسن التخطيط، وعندي خنجر حاد، خاص بالاغتيال، أستطيع إخفاءه في ملابسي، دون أن يراه أو يشعر به أحد! فإن كنتَ يا أبا سفيان عازمًا على ذلك، فما عليك إلا أن تكلفني به! وأنا له!

قال له أبو سفيان: أنت صاحبنا، وأنا أكلفك بذلك!

واتفقا في تلك الجلسة السرية المغلقة على ذلك، وأعطى أبو سفيان الرجل بعيرًا ونفقة ومالًا مقابل ذلك، وقبل أن يخرج من بيته أوصاه أبو سفيان قائلًا: عليك بالمزيد من الحذر، وأَخْفِ أمرك عن الناس، ولا تخبر به أحدًا، حتى لو كان من أقرب الناس إليك! فإن علم أحد بذلك، فقد يشيعه ويصل إلى محمد أو أحد أصحابه!

قال له الأعرابي: لن يعلم بذلك أحد غيري وغيرك!

وانصرف الأعرابي لإعداد أمره وتهيئة شأنه، وانصرف أبو سفيان إلى منزله وقد اطمأنت نفسه إلى ما وصل إليه، فقد وجد رجلًا من غير قريش يستعد لقتل محمد ﷺ نظير دريهمات وبعير، إنها مهمة لا تكلفه شيئًا، وهي تجنبه أشياء، تجنبه التضحية برجل من قريش، وهو الحريص على سلامة رجالها، وتجنبه الحرب الضروس الثائرة بين قريش والمسلمين، إذا ما أتم الأعرابي مهمته وفتك بمحمد ﷺ.

ودخل أبو سفيان داره هادئ الخواطر، منشرح النفس، فأثار ذلك في زوجه هند الدهشة والاستغراب، فلما سألته عن سبب ذلك، وهو الذي أقسم الأيمان المغلظة على الانتقام، فهجر من أجل ذلك الكلمة الحلوة والبسمة المشرقة، فقال لها وهو يحاول أن يعيد إلى نفسه ما كانت عليه من تجهم وضيق: ليس هناك من جديد أخبرك به، وليس هناك من سبب يدعو إلى الانشراح، وما رأيت يا هند، إلا سرابًا ولا أحسست إلا وهمًا، وكيف تهدأ لي نفس وقد قَتل محمد الولد وابن العم؟ وكيف يطمئن لي قلب ومحمد لا يزال في المدينة يعد لحربنا واستئصالنا؟!

وسكتت هند، وسكت أبو سفيان، وإن كان خياله لا يزال مع ذلك الأعرابي الذي انطلق ببعيره يطوي الصحراء ليصل إلى المدينة ليقتل محمدًا ﷺ، إن أبا سفيان يتابع ذلك الأعرابي خطوة خطوة، ويعد معه أميال الصحراء، ويطوي معه أبعادها، وينتظر على أحر من جمر الغضا ذلك الخبر الذي يحسب أنه آتية عما قليل؛ ليقلب حزنه سرورًا ويحيل اضطرابه استقرارًا.

لقد خرج الأعرابي من بيت أبي سفيان، وجهز خنجره الخاص، وركب بعيره الذي أعطاه إياه أبو سفيان، وتوجه نحو المدينة!

خمس ليال قضاها الأعرابي، صنيعة أبي سفيان، وهو يحث بعيره ليصل المدينة وليسبق الأخبار، فهو حريص الحرص كله على أن لا يصل شيء مما دار بينه وبين أبي سفيان، أو مما دار بين أبي سفيان وبين قريش من تآمر على قتل الرسول ﷺ، فوصل المدينة كأسرع ما يمكن أن يصلها رجل مُجد في سيره مُبالغ في ذلك الجِد، فوصل المدينة صباح اليوم السادس من مغادرته مكة، فكان أول ما عمله أن سأل عن رسول الله ﷺ، على أنه رجلٌ أعرابي جاء ليسلم ويتعلم أمور الإسلام!

فقيل له: إنك تجده يحدث أصحابه في مسجده.

فشل عملية اغتيال رسول الله ﷺ:

دخل الأعرابي المسجد النبوي، فلم يجد فيه رسولَ الله ﷺ، ولما سأل عنه قيل له: قد توجه رسول الله ﷺ إلى بني عبد الأشهل يزورهم.

خرج الأعرابي المسلح بالخنجر الخفي يخفيه داخل ملابسه إلى دار بني عبد الأشهل، فوجد رسول الله ﷺ في مسجدهم يحدثهم!

عقل الأعرابي راحلتَه وتوجه نحو المسجد، فرأى جمعًا من الصحابة يجلسون في حلقة تحفهم السكينة ويخيم على مجلسهم الوقار، يلتفتون بكل مشاعرهم وبكامل انتباههم إلى ما يقوله رسول الله ﷺ، وتبدو عليهم جميعًا لهفة غامرة وشوق شديد لحفظ ما يلقي عليهم من علوم الدنيا والآخرة.

ورآه رسول الله ﷺ مقبلًا من بعيد، فأوحى الله إليه بهذا الرجل ومهمته الخسيسة، وما جرى بينه وبين أبي سفيان!

لذلك قال رسول الله ﷺ لأصحابه قبل أن يصل الأعرابي: **إن هذا الرجل يريد غدرًا، والله حائل بينه وبين ما يريد!**

وتنبه الصحابة ﷺ لما قاله رسول الله ﷺ، والتفتوا نحو باب المسجد، وكلهم أخذ حذره حتى لا يُصاب الرسول ﷺ بأذى، وتابعوا خطوات الأعرابي خطوة بخطوة حتى وصل إليهم، ووقف على حلقتهم وقال: **أيكم ابن عبد المطلب؟**

فقال له رسول الله ﷺ: **أنا ابن عبد المطلب!**

وشعر الأعرابي برهبة وهو يحدث الرسول ﷺ، فقد هابه رغم أنه لا يهاب الرجال، وارتعد منه وهو الذي لم يكن يرتعد لأشد المواقف هولًا وأكثرها رعبًا، وداخَلَه من الجزع و الخوف ما لم يحدث أن داخَلَه مثله قط، حتى إنه فكر في النكوص عما انتواه، ولكنه ذمم نفسه وعاد فصمم على متابعة مهمته وتنفيذ غدره، فانحنى على رسول الله ﷺ كأنه يريد أن يسر له بشيء، وهدفه هو أن يتمكن منه، ليستل خنجره بسرعة ويقتله به!

لكنه يفعل ذلك أمام مشهد من الصحابة المنتبهين، وهذا من سذاجته وغفلته! فالصحابة عرفوا هدفه الخبيث، وزادت درجة انتباههم ويقظتهم.

ولذلك ما أن انحنى على الرسول ﷺ، وقبل أن يمد يده إلى خنجره، حتى انتفض أسيد بن حضير ﷺ وقفز من مجلسه وجبذ الأعرابي من ثيابه جبذة شديدة قوية عنيفة، وقال له بلهجة حازمة آمرة: تنح عن رسول الله ﷺ، ثم دفعه بشدة، وهزه بعنف، وسحبه من (داخلة) إزاره، فحُلَّت عقدةُ الإزار! ولما حُلَّت عقدةُ الإزار ظهر سلاحُه الخفي، الذي أعده لاغتيال رسول الله ﷺ! ظهر خنجره الذي كان يزهو ويفاخر به، قبل أن يتمكن من استعماله!

وسقط الخنجر الذي كان يخفيه تحت ثيابه، فاضطرب الأعرابي، وندَّت عن الحاضرين أصوات الاستنكار والتوعد.

عند ذلك قال الرسول ﷺ لأصحابه مرة ثانية ليسمع هو قوله: **هذا رجل غادر!**

والتفت أسيد ﷺ إلى رسول الله ﷺ وقال: **صدقت يا رسول الله، إن هذا الرجل لغادر.**

وأُسقط في يد الأعرابي، والتفت يمنة ويسرة لعله يجد مخرجًا أو مهربًا، ولكنه وجد الصحابة يحيطون به، وأسيد بن حضير ﷺ يقيد يديه، فأدرك أنه قد أُخذ، وأن الهرب لم يعد مستطاعًا ولا ممكنًا، فداخله رعب شديد وفزع قاتل، وأخذ يصرخ بأعلى صوته: **دمي.. دمي!**

أي: أرجو منك أن لا تسفك دمي، مع أني أستحق القتل، لكني طامع في عفوك!

ألقى الصحابةُ القبض عليه، وصادروا سلاحه الفتاك، وبذلك حمى الله رسوله ﷺ، وعصمه من أعدائه، فمكروا ومكر الله، والله خير الماكرين!

أُسقط في يد الأعرابي، فها هي مؤامرته لاغتيال رسول الله ﷺ قد فشلت وأُحبطت، وها هو مقبوض عليه بين أيدي المسلمين!

وصار أسيد بن حضير ﷺ يلببه بثيابه، ويشده منها، ويحاسبه حسابًا شديدًا؛ ليملأه خوفًا ورعبًا، ويعترف بما عنده!

رسول الله ﷺ يعفو عن الأعرابي ويعرض عليه الإسلام:

قال رسول الله ﷺ للأعرابي: **اصدقني، ما أنت؟ وما أقدمك؟ فإن صدقتني فقد نفعك الصدق! وإن كذبتني هلكت، فإن الله قد أطلعني على ما هممت به!**

إذن الرسول ﷺ على علم بكل ما جرى بينه وبين أبي سفيان! مع أن ما جرى بينهما كان سريًّا، في بيت أبي سفيان في مكة، ولم يعلم به أحد من البشر! فمن أدرى محمدًا به وهو في المدينة؟ إنه الله! وهذا معناه أن محمدًا هو رسول الله ﷺ.

قال الأعرابي لرسول الله ﷺ: **أقول وأنا آمن؟**

قال رسول الله ﷺ: **قل وأنت آمن!**

فأخبره الأعرابي بتفاصيل القصة، منذ أن التقى بأبي سفيان في منزله واتفقا على تفاصيل العملية، إلى أن جاء المدينة! والصحابة يستمعون ويعجبون.

قال أحدهم: ألم نعد أبا سفيان أن نلقاه في بدر من العام المقبل؟ أجبن عن لقائنا فلجأ إلى الغدر؟

قال آخر: إن الكفر ضلال وظلام، وهؤلاء الكفار لا يرقبون فينا إلًّا ولا ذمة، فلا تعجبوا، يا إخوة الإسلام، إذا ما غدروا وكرروا الغدر، بل إنني أتوقع أن يحاولوا الفتك برسول الله ﷺ، ويكرروا المحاولة مرة ومرة ومرة، لقد أعماهم كفرهم وأضلهم شركهم فلم يعودوا يأبهون لعقد عقدوه أو عهد أعطوه، وسيبقى الكفر هكذا ما تعاقب الليل والنهار.

قال آخر: صدقت يا أخي فيما قلت، سيحاول الكفار، ولكنهم لن يستطيعوا أن ينالوا الرسول ﷺ بشر لأن الله وعده بأن يحفظه من الناس، فليُجمع الكفار أمرهم ويكيدوا كيدهم، فسوف يرد الله كيدهم إلى نحورهم وينقلبوا خاسرين.

وأمر رسول الله ﷺ أسيد بن حضير ﷺ أن يحبس الأعرابي عنده ليلته هذه، وأن يأتي به إلى المسجد إذا أصبح.

ومر الليل بساعاته الطوال، والأعرابي مقيد بقيده، يقبع في ركن من أركان بيت أسيد ﷺ، وأسيد ﷺ يقوم الليل ويقرأ القرآن، وتابع الأعرابي أسيدًا في تلاوته، فوقعت آيات القرآن في قلبه موقعًا، فقد سمع كلامًا ما سمع مثله قط، فعرف أن ما سمعه هو ما كانت قريش تقول عنه بأنه سحر يفرق الأسرة والقبيلة، ويقول عنه المسلمون بأنه كلام الله الذي يهدي الناس إلى سواء السبيل ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

فَعَلَتْ هذه الآيات فِعْلَها في قلب الأعرابي، فقد شعر بالطمأنينة والسكينة، وود لو استمع إلى مزيد من هذه الآيات، لقد بدأ ليله بساعات طوال، ولكنها بدأت تقصر وتتناهى في القصر مع انسجامه بالتلاوة التي يسمع من أسيد ﷺ حتى إن السويعات الأخيرة من الليل مرت كلحظة خاطفة.

ونادى منادي الفجر، فقام أسيد ﷺ إلى أسيره فاصطحبه معه إلى المسجد ليمثُل بين يدي رسول الله ﷺ.

وتصارعت الأفكار في ذهن الأعرابي، وهو متجه إلى المسجد، يقول الرجل لنفسه: لقد أَمَّنَنِي محمدٌ، وقد سمعت أعداءه في مكة يصفونه بالأمانة والصدق والوفاء، فلا أظنه يرجع عن أمانه لي، لقد رأيت في وجهه وسمعت من حديثه ما حببه إلى نفسي، ولكن عليَّ أن انتظر حتى أمثُل أمامه لأرى ما هو فاعل بي.

وقف الأعرابي أمام رسول الله ﷺ، فالتفت إليه الرسول ﷺ وقال له: **قد أمنتك فاذهب حيث شئت.**

قال الرجل: سأشكر لك صنيعك ما حييت، أنا حر في الذهاب حيث أشاء؟

لقد عامل رسول الله ﷺ هذا الأعرابي الغادر بأخلاقه النبوية العالية، فمع أنه جاء لقتله إلا أنه عفا عنه.

وقبل أن يغادر الأعرابي مجلس رسول الله ﷺ عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، وقال له: **ما رأيك فيما هو خير لك من ذلك؟**

قال الأعرابي: **وما هو؟**

قال ﷺ: **أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله!**

فأعلن الأعرابي إسلامه أمام رسول الله ﷺ.

ثم صارحه بأمر عجيب، فقال له: يا رسول الله ﷺ، أنا رجل شجاع جريء، لا أخاف الرجال ولا أهابهم، مهما كانوا، إلا أنت يا رسول الله ﷺ، فلا أدري ما حصل لي لما رأيتك! فو الله ما أن رأيتك حتى ذهب عقلي، وضعفت نفسي، وامتلأتُ منك خوفًا ورهبة! وقد أخبرك الله بما عزمت أنا عليه، مما لم يعلمه أحد، غيري أنا وأبو سفيان، فعلمتُ أنك معصوم ممنوع، وأن الله يحميك ويحفظك! وهذا معناه أنك على حق، وأن حزب أبي سفيان حزبُ الشيطان، على باطل!

فجعل رسول الله ﷺ يبتسم مما قاله الأعرابي المسلم، وابتسم الصحابة لما سمعوا.

وأقام الأعرابي في المدينة أيامًا يتعلم مبادئ الدين، وينهل من الكتاب الكريم، ثم استأذن وانصرف إلى أهله وقد فاز بالحسنى.

لم يعد الأعرابي إلى أبي سفيان، ولكن الركبان القادمين من المدينة، حملوا إليه قصة الأعرابي وإسلامه، فعرف المآل الذي آلت إليه مؤامراته، ورد الله كيده إلى نحره، ولما علم أبو سفيان بذلك ازداد إحباطًا وحسرة، وصار يفكر في طريقة أخرى يواجه بها رسول الله ﷺ! فعاد إلى قريش وهو مغيظ محنق، ولجَّ في الخصومة وبالغ في العداء وأخذ يحشد الحشود لحرب الإسلام وأهله.

الرسول ﷺ يكلف الضمري والأنصاري بمحاولة اغتيال أبي سفيان:

وهذه التصرفات والمؤامرات من أبي سفيان ضد رسول الله ﷺ، جعلت للرسول ﷺ الحق في الرد على أبي سفيان بالمثل، إنه في حالة حرب معه، ودمُ أبي سفيان وغيره من كفار قريش هَدْر.

لذلك فكَّر رسول الله ﷺ في (اغتيال) أبي سفيان زعيم مكة! وهو على صواب فيما فكَّر فيه، وفيما عزم عليه!

كلف رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري ﷺ للقيام بهذه المهمة الخطيرة الدقيقة.

وعمر بن أمية الضمري ﷺ بطل من كبار الأبطال، مشهور بالشجاعة والقوة والفطنة، وبُعد النظر وحسن التخطيط وسرعة الحركة، وقد كان مع المشركين محاربًا للمسلمين في غزوتي بدر وأحد، ثم أسلم بعد غزوة أحد، وأقام مع رسول الله ﷺ، وعرف له رسول الله ﷺ هذه المواهب والكفاءات، فكان يكلفه بالمهمات الدقيقة الصعبة.

دعا رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حريش الأنصاري رضي الله عنهما، وقال لهما: **اخرجا، حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب، فإن أصبتُما منه غِرَّة فاقتلاه!**

أي: عليهما أن يذهبا إلى مكة، وأن يبذلا جهدهما في اغتيال أبي سفيان، فإن عجزا عن ذلك فلا شيء عليهما.

والملاحظ أن رسول الله ﷺ لم يكلفهما باغتيال أبي سفيان تكليفًا مطلقًا، وإنما تكليف مشروط بقدرتهما على ذلك: **فإن أصبتما منه غرة فاقتلاه!**

وكأن هذا الشرط إشارةٌ إلى أنهما قد لا يتمكنان من ذلك!

استعد عمرو بن أمية وصاحبه لهذه المهمة الخطيرة الدقيقة، وكان عمرو يملك سلاحًا قويًّا خفيفًا، وهو خنجر صغير، لكنه حاد جدًّا، يمكنه أن يخفيه بين ملابسه بدون أن يراه أحد، أو أن يشعر به أحد!

وهذا يذكِّرنا بخنجر الأعرابي الصغير الذي جاء ليغتال به رسول الله ﷺ، لكن الله فضحه وكشف أمره!

ركب عمرو وسلمة بن أسلم بعيرهما، وتوجها نحو مكة؛ لتنفيذ تلك العملية الجهادية!

الضمري والأنصاري ﷺ في مكة:

وصلا إلى منطقة على مشارف مكة، تسمى (بطن يَأْجَجْ) على بعد ثمانية أميال من مكة! وعقلا البعير هناك، في منطقة خاصة في فناء شِعب هناك؛ ليكون بعيدًا عن أهل مكة، وليعودا إليه عند انتهاء عمليتهما الجهادية! ولو ذهبا بالبعير إلى مكة، وأناخاه فيها فسينكشف أمرهما حتمًا!

وقبل أن يغادرا (بطن يَأْجَجْ) أوصى عمرو أخاه سلمة قائلًا: سننطلق الآن إلى دار أبي سفيان، وسأقوم أنا بمجاولة ومصاولة أبي سفيان لقتله، وأنت تقوم بالمراقبة والمساعدة، فإن حصل شيء لم يكن بالحسبان، فعليك أن تنجو بنفسك، وتأتي إلى هنا، وتركب البعير، وتذهب إلى رسول الله ﷺ وتخبره.

ولا تنتظرني! ولا تخف علي، فإني رجل عالم بكل مكان في هذه المنطقة، وسأنجو بإذن الله من الأعداء، كما أنني نجيب الساق، سريع العدو.

وتوجَّها نحو دار أبي سفيان في مكة! وجهَّز عمرو بن أمية خنجره الخفي الصغير، وأحكم وضعه تحت ملابسه.

ولما غابت الشمس وحلَّ الظلام كان المجاهدان أمام الكعبة، في طريقهما إلى دار أبي سفيان!

وعندما وقعت عينا سلمة بن أسلم الأنصاري ﷺ على الكعبة، لم يملك نفسه، وهاجت عاطفته للوصول إليها، والطواف بها.

إنه ما رأى الكعبة منذ سنوات عديدة، وإنه يحبها حبًّا عظيمًا، فهي أول بيت وُضع في الأرض لعبادة الله، وهي التي بناها إبراهيم عليه السلام، وهي التي توارث العرب تقديسها وتعظيمها والطواف بها والحج إليها قرونًا عديدة!

وكان في السنوات السابقة عاجزًا عن الوصول إليها؛ لأن قريشًا تمنع أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك!

والآن ها هو أمام الكعبة، يُمتع عينيه بالنظر إليها، وعلى بُعد مئات الأمتار منها! فهل يمر بجانبها ولا يأتيها ليطوف بها ويصلي عندها؟

أَنْسَته عاطفته الجياشة مهمته الجهادية التي قَدِم من أجلها، وأنها تتطلب مزيدًا من الحذر والانتباه والسرية والتخفي: إنهما قادمان لقتل زعيم مكة!

الأنصاري يلح على الضمري البدء بالطواف:

لذلك عرض سلمة على عمرو عرضًا عاطفيًّا! فقال له: **ما رأيك يا عمرو أن نأتي الكعبة أولًا، فنطوف بها سبعة أشواط، ثم نصلي عندها ركعتين؟**

فوجئ عمرو بهذا العرض العاطفي من سلمة؛ لأنه إن وافقه عليه وأخذ به فسوف يُفشل ما قدما من أجله! لذلك قال له: أنت لا يعرفك أهل مكة! أما أنا فإني أَعرَف بمكة من الفرس الأبلق، وإذا رآني أهل مكة، فإنهم سيعرفونني، ثم إنني أعرف عادة أهل مكة، إنهم ينتظرون حلول الظلام ليسمروا بالليل، حيث يرشون أفنية بيوتهم بالماء، ويفرشونها، ثم يجلسون أمام بيوتهم يسمرون.

فإذا قطعنا بيوتهم وتوجهنا نحو الكعبة للطواف، رآنا القرشيون الجالسون أمام بيوتهم، وإذا رأوني عرفوني! وبذلك نفشل في تحقيق ما قَدِمنا إليه! وأرى أنه لا داعي لأن نطوف بالكعبة، وعلينا التوجه إلى منزل أبي سفيان لقتله، تنفيذًا لما كلفنا به رسول الله ﷺ!

كان كلام عمرو بن أمية منطقيًّا مقبولًا، وليس عاطفيًّا حماسيًّا! ولكن أخاه سلمة لم يستمع له، وأصر على الذهاب إلى الكعبة أولًا!

لم يشأ عمرو بن أمية ﷺ أن ينازع أخاه ويخالفه؛ لأنه يعلم أن هذا يحرمه الإسلام، ولذلك اضطر إلى موافقته، مع علمه بخطأ كلامه وفعله!

وتحوَّل المجاهدان نحو الكعبة ليطوفا بها أولًا، ثم يقوما بقتل أبي سفيان بعد ذلك!

وَصَلا الكعبة بأمان، وطافا بها سبعة أشواط، ثم صليا بجانبها ركعتين، وذكرا الله وحمداه، وبذلك حقق الأنصاري رغبته، واستمتع بما كان يرجوه ويحرك عواطفه ومشاعره.

ثم غادرا البيت الحرام، متوجهين إلى دار أبي سفيان لتنفيذ عمليتهما الجهادية!

انكشاف أمرهما وفشل العملية:

مرَّا على مجموعة من القرشيين جالسين بفناء أحد البيوت، فيهم معاوية بن أبي سفيان، ونظر معاوية إلى الرجلين، فعرف عمرو بن أمية، وكان به سابق معرفة!

صاح معاوية قائلًا: **مَنْ؟ عمرو بن أمية الضمري! والله ما جئتَ بخير أبدًا!**

وسمع القوم الجالسون كلام معاوية، وهم يعرفون عمرو بن أمية بقوته وفتكه، فقد كان فاتكًا خطيرًا في الجاهلية، الكل يحذره ويخشاه، ويتوقع منه السوء والأذى! فهبوا قائمين للقبض على عمرو وصاحبه.

وهكذا وقع ما كان يخشاه عمرو بن أمية، فها هم أهل مكة يعرفونه، ويكتشفون أمره، وها هم يتوجهون نحوه للقبض عليه، كل هذا بسبب العاطفة الجياشة التي هاجت في قلب أخيه، ودفعته إلى الطواف بالكعبة!

قال عمرو لسلمة: **هلم أنج بنفسك، فهذا والله الذي كنت أحذر، ولا سبيل لنا للوصول إلى أبي سفيان، فقد كُشف أمرنا.**

الضمري والأنصاري مختفيان في الغار:

هرب عمرو وسلمة، وجريا راكضين مسرعين، وغادرا مكة، ونجحا في الإفلات من القرشيين المطاردين لهما، وصعدا في الجبل.

يَعرف عمرو بن أمية غارًا حصينًا في الجبل، فتوجه هو وأخوه إليه في تلك الليلة المظلمة، واختفيا داخله! ووضع عمرو حجارة على باب الغار لئلا يراهم المشركون.

علم أبو سفيان من ابنه معاوية أن عمرو بن أمية الضمري في مكة، وهو يعلم عمرو بن أمية فاتكًا خطيرًا، ولذلك لم يأت مكة لخير، وإنما جاء لأمر ما! لا يعرف أبو سفيان ما هو؟

استنفر أبو سفيان أهل مكة، وطلب منهم أن يفتشوا عن عمرو وصاحبه في كل مكان! بحثوا عنهما في طرقات مكة، وتوجه فريق إلى الجبل يفتش عنهما.

ومضى الليل وطلع الفجر وهم يفتشون في الجبل، فلم يصلوا إلى الغار.

وأعمى الله أبصارهم عن طريق المدينة، فلم يسيروا فيه باحثين مفتشين، ولو فعلوا ذلك لرأوا البعير المربوط في (بطن يَأْجَجْ) بطريق المدينة.

همس عمرو في أذن أخيه وهما مختفيان في الغار: سنبقى هنا في الغار حتى يسكن الطلب، ويتوقف القرشيون عن البحث والتفتيش، إنهم سيبقون مستنفرين جادين في البحث طيلة هذه الليلة، وطيلة نهار الغد، وسيخف ذلك عند مساء الغد.

أمضيا ليلتهما وصباح يومهما في الغار ذاكرين لله، طالبين منه حمايتهما وحفظهما.

الضمري ﷺ يقتل أحد المشركين على باب الغار:

وفي ضحى الغد كان القرشيون ما زالوا جادين في البحث عنهما، ونظر عمرو من بعيد فرأى أحد القرشيين يتجول قريبًا من الغار، رأى (عثمان بن مالك التَّيمي) يقود فرسًا له، ويجمع لها العشب من الجبل ـ وكان الوقت ربيعًا ـ ويشارك في البحث عن المجاهدَيْن.

فقال عمرو لسلمة: هذا ابن مالك يبحث عنا، وهو قادم إلى الغار، ووالله لو رآنا لنادى أهل مكة وأتوا ليقبضوا علينا، وسأقتله قبل أن يرانا.

انتظر عمرو عثمانَ بن مالك حتى وقف قريبًا من الغار، وأوشك أن يدخل الغار، فانقض عليه عمرو مسرعًا، وأخرج خنجره الحاد الصغير، وطعنه طعنة واحدة قوية تحت ثديه، واخترقت الضربة القوية صدره إلى قلبه.

صاح ابن مالك صيحة قوية، وسقط على الأرض مغشيًّا عليه.

سمع القرشيون الذين يفتشون في الجبل صيحته، فأقبلوا عليه ينقذونه، ودخل عمرو الغار مسرعًا، وقال لسلمة: لا تتحرك فها هم قادمون.

وصل القرشيون إلى عثمانَ بن مالك، فوجدوه في آخر رمق، وسألوه: ويحك من ضربك؟ فأجاب بصعوبة شديدة: عمرو بن أمية.

فقال أبو سفيان معلقًا: قد علمنا أنه ما جاء عمرو لخير، وإنما جاء لشر.

وحاولوا أن يستوضحوا منه عن مكان عمرو، ولكنه كان عاجزًا عن الكلام، وما هي إلا لحظة حتى مات، وتجمعوا عليه، وشُغلوا به.

كل هذا وهم على باب الغار، وعمرو وسلمة ينظران إليهم، لكن الله أعمى أبصارهم فلم ينظروا إلى الغار، ولو نظر أحدهم تحت قدميه وانحنى قليلًا لرآهما داخله.

حمل القرشيون قتيلهم عثمانَ بن مالك، ونزلوا عن الجبل متوجهين إلى مكة، وحمد عمرو وسلمة الله على سلامتهما، ومكثا في الغار مختفيين يومين كاملين، حتى توقف بحث القرشيين عنهما.

الضمري والأنصاري أمام جثة خبيب بن عدي ﷺ:

وبعد ثلاثة أيام قضياها في الغار، وشعرا بتوقف قريش عن التفتيش عليهما خرجا من الجبل، وتوجها إلى (بطن يَأْجَجْ) حيث ربطا البعير هناك، ليركباه ويعودا إلى المدينة.

وفي طريقهما إلى (يَأْجَجْ) مرَّا على منطقة (التنعيم)، وهي أول منطقة الحِلِّ، والحد الفاصل بين الحِلِّ والحرم.

وكانت قريش قد صلبت في (التنعيم) الصحابي الشهيد (خبيب بن عدي ﷺ)، عندما غَدر به وبإخوانه بنو سليم (على ماء الرجيع) واستشهد معظم إخوانه، وأخذوه أسيرًا، وباعوه إلى قريش في مكة.

وبعد ما حُبس في مكة عدة شهور قرر أبو سفيان قتله صبرًا في منطقة التنعيم، ولما مات مصلوبًا على الخشبة أبقته قريش مصلوبًا عليها، ووضعت عليه حراسًا، يحرسون الجثة المصلوبة، لئلا يتمكن رجال رسول الله ﷺ من أخذها.

فلما مر عمرو وسلمة ﷺ بمنطقة التنعيم، شاهدا خبيب بن عدي ﷺ مصلوبًا على الخشبة، وشاهدا مجموعة من المشركين، بعيدًا عن الجثة يحرسونها.

قال سلمة لعمرو: **ما رأيك في أن ننزل خبيبًا عن خشبته، وأن نأخذ جثته معنا إلى المدينة؟**

قال له: نعم.

خشي عمرو بن أمية على أخيه سلمة بن أسلم؛ لأنه لم يكن في مستواه، خفة وسرعة وعدوًا ولياقة بدنية؛ لذلك قال له: سأتولى أنا وحدي أخذ جثة خبيب، وأنت اذهب الآن إلى البعير في (يَأْجَجْ)، واركبه، واذهب مسرعًا إلى المدينة، وأخبر الرسول ﷺ، ولا تخف علي، ولا تنتظرني، فإني عالم بالطريق، خبير بما فيها!

توجه سلمة بن أسلم إلى البعير، وركبه، وتوجه نحو المدينة، وسلم من مطاردة المشركين.

الضمري ﷺ يعجز عن أخذ جثة خبيب بن عدي ﷺ:

أما عمرو بن أمية ﷺ فقد نظر إلى جثة خبيب على الصليب، ونظر إلى حُرَّاسه من المشركين، ولما غافلهم توجه نحو الجثة، وحل عنها الحبال بخفة، ثم أنزلها عن الخشبة، وحملها على ظهره، وسار مسرعًا!

وهذه حركة من عمرو بن أمية في غاية الجرأة والشجاعة، إنه مُطارَدٌ من قِبَل أهل مكة، لم يتوقف الطلب عنه، وهو يتحرك في وسط أعداء يبحثون عنه، ولم ينج بنفسه عدوًا وجريًا، وإنما أضاف إلى ذلك مشكلة جديدة: يحمل على ظهره جثة أخيه الشهيد خبيب بن عدي، ومجموعة من الحراس المشركين يحرسونها، **هكذا فلتكن الجرأة!**

سار عمرو نحو أربعين ذراعًا وهو يحمل جثة خبيب على ظهره، فانتبه الحراس المشركون، لاحظوه يفر بجثة خبيب التي يحرسونها، فلحقوا به.

علم عمرو أنه لن ينجو منهم إن لم يتخلص من الجثة، فكيف سيجري وهو حامل لها، لو بقيت على ظهره فسيلقون القبض عليه؛ لذلك لابد من التخلص منها.

أنزل الجثة عن ظهره بسرعة، وحفر لها برجله بسرعة، ووضعها في الحفرة الصغيرة، وأهال عليه التراب، ودفنها بسرعة، وولى هاربًا.

لحقه الحراس المشركون، ولكنه كان أسرع منهم، فلم يدركوه، وهكذا كتب الله له النجاة منهم.

توجه عمرو بن أمية نحو المدينة، وكان يسير بحذر شديد؛ لأن المشركين أرسلوا العيون يبحثون عنه.

سلك طريق (وادي الصفراء) وهو واد زراعي، فيه نخل وزرع، بين مكة والمدينة، ثم توجه نحو جبل (ضَجْنان) على الطريق ليستريح في مغاراته.

الضمري ﷺ يقتل أحد المشركين المعادين:

دخل في غار في الجبل، ووضع خنجره وقوسه وسهامه، واضطجع فيه ليستريح، فما استراح منذ أن هبط من الجبل في مكة.

وبينما هو مضطجع في الغار أقبل رجل من بعيد، من (بني الديل بن بكر) يسوق غنمًا له، ويريد أن يستريح في الغار.

دخل الغار، فوجد عمرو بن أمية داخله. فسأله: من الرجل؟

أجابه عمرو: أنا من بني بكر.

فقال له: وأنا من بني بكر، من بني الديل منهم.

وبعدما جلسا قليلًا تكلم الرجل، فإذا به عدو للمسلمين، شديد العداوة لهم، وهو لا يدري أن محدثه مسلم، فشتم المسلمين وهددهم وتوعدهم.

ثم رفع عقيرته، وتغني قائلًا:

فَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَسْتُ أَدِينُ دِينَ الْمُسْلِمِينَا

فغضب عمرو منه، ووقف على مقدار عداوته؛ ولذلك قرر قتله، وقال في نفسه: والله إني لأرجو أن أقتلك!

وما هي إلا فترة قصيرة حتى نام الرجل في الغار، فقام إليه عمرو بن أمية فقتله بسبب عداوته للمسلمين، وشتمه لرسول الله ﷺ.

ثم نزل عمرو بن أمية من الجبل، وتابع سيره نحو المدينة.

الضمري ﷺ أمام الجاسوسين على مشارف المدينة:

ووصل سلمة بن أسلم المدينة قبل عمرو بن أمية؛ لأنه كان راكبًا بعيره، وأخبر رسول الله ﷺ بتفاصيل ما جرى لهما، وعجزهما عن اغتيال أبي سفيان، وأنه ترك عمرو بن أمية الضمري في منطقة التنعيم.

أما عمرو فقد قطع الوديان والشعاب والجبال، حتى صار على مشارف المدينة.

وهناك رأى رجلين من المشركين القرشيين، بعثتهما قريش يتحسسان الأخبار، ويتجسسان على المسلمين، لما رآهما عرفهما، وعرف مهمتهما التجسسية، فتعامل معهما بحس (أمني) عال، دالٍّ على يقظته وحيويته وفطنته.

صاح فيهما قائلًا: **استسلما واستأسرا، خير لكما، وإلا قتلتكما.**

نظرا إليه، وعرفاه، فقد كان عمرو بن أمية معروفًا في مكة، لكنهما استخفا به، فكيف يستسلمان له وهما اثنان وهو بمفرده؟

لهذا استهانا به قائلين: أنحن نستسلم لك؟ إننا أقوى منك.

وعند ذلك رمى أحدَهما بسهم واحد، فأصابه في مقتل، وخر صريعًا، ولما رأى الآخر مقتل صاحبه استسلم.

أوثق عمرو أسيره الجاسوس القرشي، وأتى به يسوقه إلى رسول الله ﷺ.

الرسول ﷺ يعجب بعمل الضمري ﷺ ويثني عليه:

وبعد ثلاثة أيام من وصول سلمة بن أسلم، وصل عمرو بن أمية المدينة، ودخلها مع أسيره الجاسوس بطريقة طريفة: لقد ربط إبهامي الأسير بوتر قوسه، وساقه أمامه بطريقة مذلة مضحكة.

ولما رآه مجموعة من الأنصار قالوا: هذا والله عمرو بن أمية الضمري عاد سالمًا إلى المدينة، وحمدوا الله على سلامته، ولما سمع الصبيان قولهم، أسرعوا إلى رسول الله ﷺ، يبشرونه بسلامة عمرو بن أمية.

وأقبل عمرو على رسول الله ﷺ، وهو يسوق أمامه الجاسوس القرشي، على صورة مضحكة، فلما رآه الرسول ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وكان ضحكُه إعجابًا بما فعله عمرو.

وأخبر عمرو بن أمية رسول الله ﷺ بتفاصيل الأحداث، منذ أن غادر المدينة، إلى حين العودة لها، فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

مصادر ومراجع للدراسة:

أ ـ كتب السنة: مجمع الزوائد للهيثمي (٨٠٧ هـ) ٦/ ٢٩٥-٢٩٨، المطالب العالية لابن حجر (٨٥٢هـ) ١٧/ ٤١٧-٤٢٣، فتح الباري لابن حجر (٨٥٢هـ) ٧/ ٤٣٧- ٤٤٥، جمع الفوائد للمغربي (١٠٩٤هـ) ص ١٠١٧، الأساس في السنة لحوى ٢/ ٦١٦، ٦٢٣.

ب ـ كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: مرويات الزهري (١٢٤هـ) في المغازي للعواجي ١/ ٤١٢-٤١٩، السيرة النبوية لابن إسحاق (١٥٢هـ) بتهذيب ابن هشام (٢١٨هـ) ٢/ ٦٣٣-٦٣٥، الطبقات لابن سعد (٢٣٠ هـ) ٢/ ٩٠-٩١، تاريخ الطبري (٣١٠هـ) ٢/ ٥٤٢-٥٤٥، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) ٣ / ٣٣٣ –

٣٣٧، الاكتفاء للكلاعي (٦٣٤هـ) ٢/ ١٣٤-١٤١، البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ) ٥/ ٥١٧-٥٢٣، سبل الهدى والرشاد للصالحي (٩٤٢هـ) ٦/ ١٩٤-٢٠١، السيرة الحلبية للحلبي (١٠٤٤هـ) ٣/ ١٥٧ -١٦٦.

ج ـ كتب الغزوات والسرايا: السرايا الحربية في العهد النبوي لطنطاوي ١٠٨-١١٠، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك ١٦٣-١٧٠.

د ـ كتب أخرى: والله يعصمك من الناس للجدع ١٠٠-١١٨، صور من جهاد الصحابة ﷺ للخالدي ١٣٩-١٥٤، قادة النبي ﷺ لخطاب ٢٣٤-٢٣٨.

خرائط سرية عمرو بن أمية الضمري ﷺ لقتل أبي سفيان

أطلس السيرة لأبي خليل ص ١٥٩.